سوء الظن (خطبة)



أحمد بن علوان السهيمي

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 14/2/2021 ميلادي - 1/7/1442 هجري

الزيارات: 11367

سوء الظن

الحمد لله له الحمد في الأولى والآخرة، الحمد لله الرحمن الرحيم، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

عباد الله، أمرٌ شأنه خطير وضرره جسيم على الفرد والمجتمع يفسد على من أصيب به الدين والدنيا.

لا أبالغ في التهويل من أمره، فقد وقع الوعيد منه في محكم التنزيل وسنة محمد خير نذير عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، واليوم قلَّ مَن ينجو منه إلا مَن رَحِمَ الله.

إن سوء الظن يجلب للمسلم المهالك، ويُصيب قلبه فهو لا يقع إلا مِن انطوت نفسه على حسدٍ وحقد، وأعظمه الظن السيئ بالله: ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: 154].

فمن الناس من يسيء الظن بالله تعالى بوعده ونصره لعباده المؤمنين، ويسيء الظن بربه أن يرزُقه، فتجد من يثق بما في أيدي الناس أعظم من ثقته بما عند الله: ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [فصلت: 23].

علينا أن نُحسن الظن بالله، فالله عند ظن عبده به، فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: فيما يرويه عن ربه جل وعلا: ((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ))؛ صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

أيها المسلمون، المسلم أخو المسلم، ورابط الأخوة حرص عليه الإسلام: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: 10].

وعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا))؛ رواه مسلم.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحجرات: 12].

وقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيث))؛ رواه البخاري.

قال ابن القيم رحمه الله: ((مبدأ كل علم نَظَرِي وَعمل اخْتِيَارِي هُوَ الخواطر والأفكار، فَإِنَّهَا توجب التصورات والتصورات تَدْعُو إِلَى الإيرادات، والإيرادات تَقْتَضِي وُقُوع الْفِعْل، وَكَثْرَة تكراره تُعْطِي الْعدة، فصلاح هَذِه الْمَرَاتِب بصلاح الخواطر والأفكار، وفسادها بفسادها)).

فإن صاحب القلب المريض يسيء الظن بأخيه المسلم لما يبني عليه قلبه من ألوان الفساد، كالأثرة وحبِّ الذات، والحسد، والرغبة في الوقيعة بأعراض المسلمين.

إذا ساء فعلُ المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهمِ

وعادى محبيه بقولِ عداتهِ وأصبح في ليلٍ من الشك مظلمِ

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرًا، وأنت تجد لها في الخير محلًّا)).

وإن صاحب الظن السيئ يبحث عما يؤكد له ظنونه، فيتجسَّس وهذه خصلة قبيحة تنفر منها الفطر السلمية تقوده إلى الغيبة وهي من الكبائر، فيتحدث المتجسِّس عما رآه أو سمعه، وكفى بسوء الظن تجمعُ هذه الأثافي سوءًا وقبحًا.

الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عَن عيوب الناس مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه، فإن من اشتغل بعيوبه عَن عيوب غيره أراح بدنه ولم يتعب قلبه، فكلما اطلع على عيبٍ لنفسه، هان عَلَيْهِ مَا يرى مثله من أخيه، وإن من اشتغل بعيوب الناس عَن عيوب نفسه عمى قلبه، وتعِب بدنه، وتعذَّر عَلَيْهِ ترك عيوب نفسه، وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم، وأعجز منه مَن عابهم بما فيه، ومن عاب الناس عابوه.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ))؛ رواه الترمذي وقال الألباني: حسن صحيح.

إن سوء الظن يوقع بين المسلمين الكره والضغينة ويورث القلوب من الأمراض، ما يجعل صاحبه يعيش في نكد وهمٍّ وغَمٍّ، وذلك بسبب أن أتْبعَ ظنَّه هواه وتتبَّع عورات المسلمين، كما يفسدُ على الراعي رعيته وعلى الزوج زوجته، والابن على أبيه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الأميرَ إذا ابتغى الرِّيبةَ في الناسِ أفسدَهُم"؛ رواه أبو داود وصححه الألباني.

قلت ما سمعت وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، رب السماوات والأرضين، رب كل شيء ومليكه، وصل اللهم وسلم على عبدك ونبيك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،
أما بعد:
فيا أيها المؤمنون، السلامة لا يعدلها شيء، وعلى المسلم أن يطهر قلبه من سوء الظن على أخيه المسلم: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: 88، 89].

فالعافية أن يُحسن المسلم ظنه بأخيه؛ لينعم براحة البال وسلامة الصدر، فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُبَلِّغْنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا؛ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ»؛ رواه الترمذي[1].

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور: 15]؟

الدعاء...

---

[1] [حكم الألباني]: ضعيف الإسناد لكن الشطر الثاني منه في القسمة صحيح.
